الفصل الثامن

من ظرفاء العصر

كان أحمد عبدالمجيد أحد ظرفاء العصر الذين ملأوا حياتنا بهجة وفكاهة وظرفاً فى النصف الأول من القرن العشرين حيث مثل هو وحافظ إبراهيم و«محجوب ثابت» وعبدالعزيز البشرى ومحمد مصطفى حمام وحسين شفيق المصرى وكامل الشناوى ومحمد البابلى كوكبة من ظرفاء مصر الذين تركوا بصماتهم الباسمة على وجه الحياة، وجملوها بفكاهاتهم وطرائفهم ونوادرهم وملحهم الباقية.

وقد تجمعت للسفير الشاعر أحمد عبدالمجيد من أطراف العالم، سهوله وأعاليه، وحواضره وبواديه، مادة وفيرة من كل ما اتصل بالظرف، أو ألم به، أو طاف حوله وحول أهله من الماجنين وسمار لياليه، ومن اشتهر من الظرفاء فى العالمين العربى والغربى فضلاً عن أسماره وفكاهاته التى أهلته لأن يجمع خلاصة خبرته فى كتاب «رحلة مع الظرفاء» الذى أصدره عام ١٩٧٦.

ويعرف أحمد عبدالمجيد «النكتة» بقوله:

«النكتة كما فسرها علماء النفس والفلاسفة، إنما هى محاولة لإعادة التوازن داخل النفس المضطربة القلقة، التى هزتها أحداث زعزعتها عندما وقعت خارجه ونفذت إليها، فرأت تلك النفس أن تستعيد توازنها بالضحك أو افتعاله.

«والنكتة تتطلب من المتلقى لها، لماحية وقدرة على التصور والتخيل، فإذا ما افتقرت إلى هذا النوع من المتلقين والمستمعين، احترقت.. كما يقولون ولا تجد على

وجه مستمعها إلا مزيجاً من البلاهة وعدم الفهم ولولا خوفه من أن يتهم بالغباء لسأل جاره: ماذا يعنى الأخ؟

«كذلك تتطلب النكتة من راويها، حسن إلقاء، وخفة ظل، وبراعة عرض، مع اختيار مناسب، إلى جانب تمثيل للمواقف بالإشارة أو حركات الوجه، لتكمله صورة، ما يرويه مؤدى الفكاهة.

ويرى أن الإنسان الضاحك، على قدر استجابته للضحك، أو قدرته على إثارته، نراه سريع الاستجابة للبكاء إن دعا داعيه، أو حدث ما يحمله عليه، فهو مرهف الحس، كوتر الكمان.. ويقول شاعر لماح:

إذا أنـــا لم أضـحـك فـــقـــدت مـشـاعـــرى

وإن أنـــا لم أحـــزن فـــقـــدت شـــعـــورى

ويذكر أحمد عبدالمجيد أنه ليس أبعث على الضحك من المفارقة التى تعد أساس كل ضحك وفكاهة ونكتة.

والفكاهة والنكتة والظرف والمجون، أجهزة لا تستطيع كل يد أن تلعب بها أو تستخدمها، فإن لها طرائق خاصة وفلسفة خاصة وقدرة فى الاستعمال كقدرة الطبيب الجراح فى استعمال المبضع، توخياً من أن تجاوز ما هو مقصود منها إلى ما يجرح أو يسيء، ما دام القصد منها إضحاكاً يقتضيه المقام فى حدود، مرسومة، سادنها الذوق العام، والبعد عن الإيلام، والتوسل بها لنقد برئ يتطلب النصح والتوجيه والإشارة.

والفكاهة من قبل ومن بعد مثلها مثل ملح الطعام، قليله ضرورى ومرغوب، وكثيره، متلف وضار وقد شرح سيجموند فرويد النكتة بقوله: النكتة ضرب من القصد الشعورى، والعملى يلجأ إليها الإنسان ليعفى نفسه من الواجبات الثقيلة، ويتحلل من الحرج الذى يوقعه فيه الجد ولوازم العمل.

ونبى الفطرة محمد ﷺ يقول فى حديث، هو قبس من الذكر الحكيم: «روحوا عن النفوس ساعة بعد ساعة، فإن النفوس إذا كلت عميت».

ومن أوراقه المطوية كانت لأحمد عبدالمجيد مختارات من أدب الفكاهة تعكس صفاء نفسه، وخفة ظله، وسمو ذوقه الفنى، من بينها هذه الألوان.

من جميل ما روى من نوادر جرت بين سائل وبخيل هذه النادرة: فقد وقف بباب أحد الأغنياء سائل طلب شيئاً لله ولما سمعه رب الدار قال لتابعه:

- يا مرجان قل لعنبر يقول لجوهر، وجوهر يقول لياقوت، وياقوت يقول لألماس، وألماس يقول لفيروز، وفيروز يقول لذهب وذهب يقول لهذا السائل: يفتح الله عليك!

فسمعه السائل، فرفع يديه إلى السماء، وهو يردد: يا رب، قل لجبرائيل يقول لميكائيل، وميكائيل يقول لدردائيل، ودردائيل يقول لكيكائيل، وكيكائيل يقول لإسرافيل، وإسرائيل يقول لعزرائيل، أن يزو الليلة هذا الشحيح!.

ثم مضى فى سبيله وترك الشحيح مذعورا.

كانت ليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح تقول:

لم يكن المجنون فى حالة ... إلا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى ... وإننى قد ذبت كتمانا

ومضت تقول وتشرح ما بها من جوى فى موضع آخر:

باح مجنون عامر بهواه

وكتمت الهوى فمت بوجدى
فإذا كان فى القيامة نودى
«من قتيل الهوى»؟ تقدمت وحدى

وقال البهاء زهير فى جمال طول قوام الحسناء:

وهيفاء تحكى الرمح طولاً وقامة
لها مهجتى مبذولة وفؤادى
لقد عابها الواشى فقال طويلة
مقال حسود مظهر لعناد
فقلت له بُشرّت بالخير إنها
حياتى فإن طالت فذاك مرادى
وما عابها القد الطويل وإنه
لأول حسن للمليحة بادى
رأيت طويل الحصن يحمى جنوده
فأعددتها حصنا لحفظ ودادى

طلب هارون الرشيد من الشعراء أن يجيزوا قول جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا
دمعاً بعينك ما يزال معينا

أى أن الدمع مضى مسترسلاً دون توقف فلم يصنع أحد شيئاً فى إجازة ما طلبه الرشيد، وعند ذاك خف أحد الأتباع إلى «عنان» وهى «قينة» شاعرة وعازفة ومحدثة حاضرة الذهن، فبعثت معه بهذه الأبيات:

هيجت بالقول الذى قد قلته
داءً بقلبى ما يزال كمينا
قد أينعت ثمراته فى روضها
وسقين من ماء الهوى فروينا
كذب الذين تقولوا يا سيدى
إن القلوب إذا هوين هوينا

ومما يروى من الهجاء المقذع قول الشاعر:

قومُ إذا صفع النِّعالُ قفاهمو
شكت النعال بأى ذنب تُصفع؟

وقد صور لنا السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد مجالس الظرفاء فى مصر فى ذلك العصر بأسلوبه المشرق السلس فقال:[1]

«كانت مجالس الظرفاء تنتشر فى أنحاء عديدة فى القاهرة القديمة والحديثة، فكانت قبل العشرينات تنعقد فى مقاهى متعددة حول المقام الحسينى وفى دار المهدى بباب الخلق وفى قهوة المعلم بباب الخلق أيضاً وفى قهوة متاتيا بالعتبة الخضراء وفى بار أستراليا بشاعر عمادالدين، وفى منادر وصالونات لا حصر لها ولا عد.

ونحن نذكر ما سوف نرويه عن هذه المجالس على سبيل المثال فإن حصرها يحتاج إلى هيئة إحصاء وتعداد ومراقبة ومراجعة ومتابعة.

وكان الشيخ الشربتلى، نجم قهوة المعلم بباب الخلق. ويتخذ منها مكتباً يدير منه أعماله الصحفية، ففى استطاعته تقليد أى أسلوب أو قلم فى البلد. وعندما يجىء إليه

(١) أحمد عبدالمجيد «رحلة مع الظرفاء/ ص٢٢٥»

أصحاب الصحف - وكان أغلبهم من الأميين - كان يتفق معهم على تسعيرة تتنوع فئاتها تبعاً لنوع الكتابة والأسلوب.

فإن كان المطلوب مقالة على نمط كتابات اللواء وأسلوب المؤيد، فثمن الصفحة خمسة قروش.

وإذا كانت الكتابة المطلوبة تسلك مسلك أسلوب الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكرى، فالصفحة بعشرة قروش.

أما النوع الممتاز من كتابات ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذانى فالشيخ لا يسمح بأقل من خمسة عشر قرشاً، لأنها كتابة مخدومة ومنتقاة.

وكان إذا اشتكى أحد أصحاب الصحف من أن المنضدين للحروف ضجوا من صعوبة قراءة الحروف الصغيرة التى يكتب بها الشيخ الشربتلى، صرخ الرجل: «هى الخمسة قروش حتشترى ورق والاحبر والا أجر كتابة. احمدوا ربنا!».

وكان عثمان جلال بك، المستشار الشاعر الزجَّال المسرحى، قد ألف مع شلَّة من أقرانه، جماعة أطلق عليها اسم «جماعة الأنس» تجتمع فى مندرة دار تقع على ناصية حارة البرقوقية.

وكان يروى ذات يوم لروّاد المندرة، قصته مع ناظر مدرسة الطب فى أيامه.

فقد ذهب لمقابلة الناظر وكان يعرفه. ورحب به الناظر وسأله إذا كان يرغب فى إدخال «حافظ جلال» - الدكتور فيما بعد - المدرسة، فقال له عثمان بك: لا فسأله الناظر إذا كانت هناك خدمة أخرى أؤديها فأنا كلى استعداد. فقال عثمان بك: عايزك تدخل حافظ ابنى مستشفى المدرسة. فأجابه الناظر بأن حافظ فى صحة طيبة. فقال له عثمان بك أنا أعلم ذلك. ولكنى أريد أن يتمرن أولاً على المرضى ثم يرتقى إلى ممرض ثم رئيس ممرضين ثم يدخل مدرسة الطب ويسير متدرجاً من أول خطوة.. حتى يتخرج

دون أن يفوته شيء.. فانبرى أحد أعضاء الجماعة ليقول لهم إن قريباً له من أهل الريف جاء لزيارته فى القاهرة. ولما استقر به المقام راح يسأله عن أهل بيته وفى طليعتهم، ابنه الوحيد، فقال له صاحب الدار، الحمد لله دخل مدرسة الطب ودلوقت يشتغل طبيب أطفال، فقال له قريبه الطيب القلب: ليه يا شيخ ما كنت تخليه يكمِّل؟..

وكان بار الأنجلو وبار اللواء وقهوة ماتاتيا وحلوان صولت وقهوة دلبانى التى كانت تقوم بجوار سميراميس وكان يرتادها شوقى بك صيفاً، كلها كانت منتديات عامرة بالأدب الرفيع والفكاهة الراقية.

وكان الشيخ عبدالعزيز البشرى نجم الأنجلو. كما كان حافظ إبراهيم نجم بار اللواء، ومحجوب ثابت نجم حلوانى صولت. وفى قهوة ماتاتيا كان يجلس بها إمام العبد مع رهط من ألمع أصحاب النكتة.

وهذه القهوة شهدت جلسات جمال الدين الأفغانى وعبدالله النديم ومحمود سامى البارودى فى شبابهم.

وكان الشيخ البشرى يعجب كل الإعجاب بإمام العبد وبسرعة خاطره ونكتته الحاضرة دون فحش أو تجريح. ولكنه ابتلى ذات يوم بمتأدب كان اسمه محمود راح يقول لإمام العبد إن أجمل قصيدة للمتنبى هى قصيدة:

عيد بأية حال عدت يا عيد

وضحك ضحكة فهم منها أن المتأدب المذكور يقصد بيت القصيدة.

لا تشترى العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

فقال له إمام على الفور. بل لعل بيت القصدة هو:

ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمنٍ يسبُّنى فيه كلب وهو محمود

وكان يؤم دار حافظ إبراهيم فى حلوان رجل اسمه سليمان شوقى يزعم أنه توصل إلى اختراع مُرشَّح للماء بوضع تركيبات فخارية فى زير يخرج منها الماء رائقاً صافياً.

وذات يوم كان يجلس مع الندوة دكتور بكير، وكان يستمع فى غيظ لشرح الرجل الذى علم أنه فى كل يوم على هذه الحال، فقال له: يا أخى ذنب الناس إيه لما تروَّق الميَّه وتعكَّر دمُّهم..

وذات يوم كان البابلى يجلس فى ندوته الخاصة بالسيدة زينب عندما يصعب عليه نزول البلد للجلوس فى الأنجلو بسبب إضرابات جارية. فقد كانت المدارس مضربة وكذلك الترام والعربات والمحال العامة احتجاجاً على تصريحات كانت تصدر عن زعماء بريطانيين، تمس أمانى مصر فى الاستقلال، ومر بهم شحَّات ألح كثيراً فى طلب السؤال فقال له البابلى: يا أخى اضرب لك يوم، إنت ما عندكش وطنية؟

وكنا نجلس فى مقهى رويال أمام شيكوريل ومعنا أحد أفراد عائلة ترك أصحاب المخابز الشهيرة باسمهم. ومر سائل وألح على الأخ ترك فى طلب حسنة فصرفه بحجة عدم وجود فكَّة، ولكن السائل لم ينصرف، فقال حسين الترزى لإبراهيم ترك:

يا أخى اكتب له شيك برغيفين يصرفهم من المخبز.. وقمنا ذات مساء من قهوة رويال لسماع الفنان محمد عبدالوهاب فى تياترو بريتانيا وكانت وقتها تجرى فى عهد إسماعيل صدقى انتخابات نيابية على درجتين أى لابد من انتخابات ثلاثين مندوباً وينتخب من هؤلاء نائب الدائرة.

وفى التياترو كان عبدالوهاب يغنى لأول مرة موال: مسكين وحالى عدم من كتر هجرانك. وإذا الترزى يصرخ: كمان والنبى يا بنى يا محمد ده أنا مسكين ثلاثينى.

وفى قهوة نيس بميدان الإسماعيلية «التحرير حالياً» مكان عمارة بحرى كنت أجلس فى انتظار حسين الترزى ومعى صديق دكتور وعندما حضر حسين قدمته

للدكتور وراح حسين يشتكى من بعض أوجاع يحس بها، فقال له الدكتور أحسن شيء أنك تحللِّ البول علشان الدكتور المعالج يعرف بالضبط مرضك. وهات لى تقرير التحليل وأنا أكشف عليك.

وراح حسين يسأله: وكم يكلفنى تحليل البول؟

فقال له الدكتور: أظن جنيهاً أو اثنين!

فقال له حسين: طيب والبول من عندى ولا من عند الدكتور.. فى أحد الأيام حضر المعلم دبشة الجزار وجلس على مائدة قريبة منا.. وكنا نعرف أنه لا يقرأ ولا يكتب. وأردنا مداعبته. فكتبنا ورقة صغيرة وناديا الجرسون وطلبنا منه تسليمها للمعلم دبشة. ونفَّذ الجرسون ما طلبنا.

وقد أسقط فى يد دبشة، ولكن لماحيته وذكاءه كانا أسرع من فرحتنا فيه، فقد استبقى الجرسون وراح يمصمص شفتيه متحسراً، ثم أخرج من جيبه قطعة فضية من فئة الخمسة قروش وطلب منه أن يسلمها لنا، كما لو كنا سألناه إحساناً..

ومن نوادر دبشة أنه كان يمتلك دكان جزارة بشارع التحرير الحالى وكانت صغيرة إلى حد ملفت للنظر.

وذات يوم وقف أمام القاضى لاتهامه بمخالفه التسعيرة. وكان رئيس الجلسة بالمحكمة الجزئية، أمضى سنوات عديدة بالمحاكم الجزئية مفضلاً تخطيه، على ألا يغادر بالقاهرة. ولما نودى على القضية تقدم دبشة، فسأله القاضى، ألست أنت صاحب الدكانة؟

وراح يشير بيديه إشارة يفهم منها أن الدكان فى حجم الكف، وعلى الفور قال له دبشة: أيوه يا سعادة البيه الدكانة الجزئية..

وذات يوم مرَّ حسين الترزى على رامى بدار الكتب - وهى ندوة عامرة بالأدب الرفيع والفكاهة الذكية - وعندما حان ميعاد الانصراف قال رامى لحسين: بختك من السما. احنا عندنا النهاردة ملوخية بالأرانب وتعال بنا نمشى واخترقا ميدان باب الخلق وهما فى طريقهما إلى بركة الفيل. ومرا على محلات كثيرة من محال بيع الطرشى. وكان رامى يقول لحسين: يا سلام لو كان معانا سلطنية كنا أخذنا معانا من هنا، دى البرطمانات شكلها يشهى فما بال الطرشى. فقال حسين لرامى والا يا سيدى لو كان معانا ترموس كنا أخذنا فيه طرشى علشان يفضل حرَّاق ٤٨ ساعة.

وفى ندوة دار الكتب، كان يجتمع أحمد رامى وأحمد الزين وأحمد محفوظ ويحضر لزيارتهم أحياناً محمد الهياوى وكنت من بين المترددين على الندوة لزيارة رامى أو لاستعادة كتاب.

وحضرت مرة حديثاً فى الندوة يتناول طريقة أداء الأغانى وأسلوب كل مغنى. ولم يكن أحمد رامى من الراضين عن النعومة فى الغناء وترديد النواح والبكاء فى موضع الترفيه. وسمعته يقول إنه بدأ فى قصيدة ينعى فيها على هذه الفئة كل هذا النواح وأن مطلعها هو:

أنـائـح أنـت أم مُـغَّـنـى! سلبت عـزم الـرجـال مِّنى

وكان محل صولت الحلوانى، المكان المفضل لشوقى بك. وكان جلساؤه فيه، الدكتور محجوب ثابت والشيخ عنارة والشيخ الجديلى والشيخ الجزيرى وأحمد محفوظ وكثير من أهل الفضل والأدب وكبار رجال الصحافة الذين كانوا يسعون وراء الجديد من أخبار الندوة وخاصة شعر شوقى فى محجوب ثابت. وقد أملى فى صولت قصيدة «براغيث محجوب» وقصيدة «مكسوينى» التى يداعب فيها أمير الشعراء صديقه محجوب قائلاً له:[1]

(١) كان للدكتور محجوب حصان مشهور سماه «مكسوينى» وقد استبدل به سيارة، فنظم شوقى هذه

أدنيا الخيل يا «مكسى» كدنيا الناس غداره؟
لقد بدلك الدهر من الإقبال إدباره
فصبراً يا فتى الخيل فنفسى الحر صباره
أحق أن «محجوباً» سلا عنك بفخاره؟
وباع الأبلق الحر «بأوفرلاند» نعاره؟
ولم يعرف له الفضل ولا قدر مقداره
ولا والله ما كلفت «محجوبا» ولا «باره»
فلا البرسيم تدريه ولا تعرف نوّاره
فإن الحظ جوال وإن الأرض دواره!

وكان الشيخ عبدالعزيز البشرى لا يغادر الأنجلو إلا بعد أن ينتصف الليل. وذات ليلة تأخر عن موعده ولم يشأ أن يذهب إلى دار أولاده فى الزيتون، وفضل أن يبيت عند شقيقته فى السيدة زينب.

وكان فى عصر ذلك اليوم قد اشترى وهو جالس فى الأنجلو، قفص فراخ يحتوى على خمس عشرة دجاجة، وأدخل خدم المقهى القفص فى مخزن المهملات لحين قيام الشيخ.

وعندما استعد للذهاب. وضعوا له القفص بجوار سائق العربة المعتاد توصيل الشيخ إما إلى محطة الزيتون أو إلى السيدة زينب تبعاً لإشارة الشيخ وسارت بهما العربة إلى السيدة زينب.

وعند وصول الركب إلى دار السيدة شقيقة الشيخ البشرى حمل السائق القفص إلى المنزل واحتفظت السيدة بالفراخ فى السطوح واعتنت بها وبأكلها ونظافتها كل العناية.

القصيدة «سنة ١٩٢٤» يداعب الدكتور ويعزى حصانه.

وبعد شهرين من هذه الزيارة، كانت التعليمات لدى السائق أن يذهب إلى السيدة. فمضى بالشيخ إلى دار شقيقته.

وفى الصبح تنسَّم الشيخ روائح ذكية منبعثة من بيض يُقلى بزبدة طيبة وسأل وهو يتناول إفطاره عن كل هذا الخير - وكان البيض كثيراً أمامهم - فقالت له:

فضلة خيرك، الفراخ فراخك والبيض منهم. وإذا كنت عايزهم أجمعهم لك، بس تدفع مصاريف الأكل اللى قدمته لهم، وهى حسبة ثلاثة جنيهات.. فصرخ وهو يقول: بقى يا عالم أدفع قسط بناتى «الساكر كير»، ثلاثة جنيهات فى الشهر وادفع للفراخ زيهم.. ليه؟ رايحين يكاكوا فرنساوى.

وعندما دُعى الشيخ البشرى لقضاء أيام فى عزبة الشريعى باشا بالمنيا، تأخر عن العودة فى الموعد المضروب، وفكر أعضاء الشلة فى إرسال برقية تتعجَّل عودته وتركوا لحفنى بك محمود صياغة البرقية، وكانت على هذه الصورة الشفرية:

«كشكار دايم ولا علامة مقطوعة..»

حتى لا يفهمها إلا الشيخ وحده، باعتبارها من لهجات شمال الأنجلو.. ومن اللغات المندثرة..

وكانت تعنى، أن العز الموقت الذى تنعم فيه، مصيره إلى نهاية ومن الخير لك أن تعود لما هو دائم..

وفى عصر أحد الأيام، حاول البشرى أن يقطع شارع شريف أمام الأنجلو، ولكن السيارات، كانت وكأنها مسبحة، متوالية، متصلة فوقف إلى حين انفراج.

وكانت تقف إلى جواره سيارة إسعاف كانت تؤدى خدمة فى المنطقة فقال سائقها للشيخ البشرى، الذى يترقب فى خوف: ما تفوت يا سيدنا الشيخ!

فقال له الشيخ: بس مش عايزين نتعبكم..

وكنت أجلس مع دكتور إبراهيم ناجى فى مطعم سيسبل بميدان التوفيقية ننتظر رامى. وراح ناجى يحكى لى عن قصته مع مريض كان على خصاصة وعوز، فأعطاه ناجى بعد الكشف وكتابة الروشتة مبلغ جنيه لمساعدته.

وبعد شهور لقى ناجى زوجة المريض فسألها عن صحته فقالت له الله يعوض عليك يا دكتور. إحنا جبنا بالجنيه بتاعك حكيم كويِّس وكان فى ايده الشفا والحمد لله..

فقلت له، إنى كان بينى وبين صديق كريم، دكتور عيون ذكى ونابه، ولكن كانت تشغله عن فنه شئون عديدة وسعيدة.. فرويت مرة عنه، أنه كان يفحص عين مريض وأطال فى الفحص وتململ المريض وقال للدكتور، بتعمل إيه يا دكتور، قال له بفحص عينك يا أخى، فأجاب المريض:

دى العين القزاز يا دكتور.

وفى مصيف زحلة بجبل لبنان، فى صيف عام ١٩٢٧، نظم شوقى قصيدة «يا جارة الوادى»، اسم القصيدة فى ديوان شوقى «آية الزمان»، ليرد بها شاكراً لبلدية زحلة تفضلها بمنحه قطعة أرض فى أجمل بقعة بالمصيف بنى عليها شوقى قصراً يحل به كل صيف.

وكانت البلدية قد أقامت فى هذه المناسبة حفلاً كبيراً دعت إليه الكثيرين من أدباء وشعراء وكتاب العرب ممن كانوا يصطافون فى لبنان فى ذلك المصيف، احتفاء بشوقى بك وتكريماً له.

وبعد أن أعلن مدير البلدية قرار البلدية، قام الأستاذ الكبير بصوته الأخاذ، الأديب الكاتب فكرى أباظة ليلقى القصيدة الخالدة. ولم تكن «يا جارة الوادى» المعروفة إلا مقدمتها الغزلية. ولكن القصيدة الأصلية تزيد على خمسين بيتاً.

وكان الموسيقار محمد عبدالوهاب قد لحن هذا الجزء المعروف، وقام بغنائه فى هذا الحفل الكبير، حيث استقبله جمهور المستمعين استقبالاً تمناه الفاتحون..

وكانت ليلة.. تمنينا أن يقف الصباح فلا يقربها، إلى أن انبلج نور الفجر، وانطوت ليلة العمر، التى ما يزال أرجها يعبق ويملأ الذاكرة بشذاها ويفيض على الفكر بريَّاها. وحتى يومنا هذا، ما تزال هذه القصيدة «يا جارة الوادى» تغنَّى بصوت عبدالوهاب فى منتديات نهر البردونى الذى يشق وادى زحلة وتنتشر على ضفافه مطاعم ومشارب وأماكن لهو تسطع أنوارها.

وتبدو حول البردونى الذى لا يزيد عرضه على أربعة أمتار، كما لو كانت سواراً من ماس.

وأصبحت يا جارة الوادى رمزاً على وادى زحلة، ونالها من الشهرة الخالدة، مثل ما نال أغنية «على جسر أفنيون» «Sur Ie d'Avignon» التى ظلت منذ القرن الرابع عشر تتردد حتى اليوم على لسان كل صبى وصبية فى جميع أنحاء فرنسا.

وفى صباح هذه الليلة الهنيئة، كان المصريون من نزلاء فندق قدرى يجتمعون، وكلهم أصدقاء، فى تراس الفندق انتظاراً لصحف القاهرة فى لهفة وقلق.

وكان شوقى بك يجلس معنا أحياناً، مستمعاً كعادته، أو معلقاً بقول حكيم لا يطول أكثر من حسو الطير من جدول رقراق.

كانت الصحف قد نشرت هذا الصباح، توصُّل مدام «كورى» لاكتشاف عنصر الراديوم الذى يُمثل مرحلة من مراحل الاختراعات والتطور العلمى السريع، وسلسلة من فتوحات العلم النظرى والتطبيقى.

وكنت من حسن طالعى أجلس إلى جوار الشاعر الخالد حيث كنت أطلعه على الخبر المثير فى صحف الصباح المحلية، ورأيته يبتهج لهذا النصر العلمى ثم يهمس لى

بصوت خفيض، «إن السيدة التى تصلح لعمل الرجال، لا تصلح للرجال».

وكان يعنى أن عملها سوف يشغلها عن مهام بيتها، ولكن، لقد أثبتت المرأة بجدارة وبكل صدق وإخلاص فى عصرنا الذى نعيشه، إنها فى كل ميدان تطرقه تبلغ فيه غايتها بنجاح وتوفيق وصدق وأمانة. وبينما نحن جلوس، إذ بصبى يحمل أعداداً من قصيدة «آية الزمان» طبعتها بصورة عاجلة صحيفة محلية فى زحلة وراح هذا الصبى - وفى جبل لبنان مثل أمريكا يشتغل الصبية فى عطلة المدرسة ببيع الصحف - راح الصبى يلح علينا فى شراء بضاعته من «آية الزمان» واشترينا جميعاً منه فيما عدا شوقى بك، راح الصبى يلح على شوقى بك ليشترى نسخة وهو يأبى أن يجيبه إلى طلبه، بمكر حسن ليرى النتيجة، وإذا بصديق من الجالسين، وهو لبنانى، يقول للصبى: يا أعمى القلب، هايدا شوقى بك بنفسه بعظمه بلحمه، كيف تبيع له القصيدة وهو ناظمها؟

فقال الصبى: بابا، باعرف إنه شوقى بك أمير الشعرا لكن بلكى بينساها.. على أن هذه المجالس، كانت تطوى فى جوانحها وبين ثناياها ملامح كثيرة من ملامح الجامعات التى لا تقيد طلابها بمواعيد للحضور أو الانصراف لا تحملهم على الاستماع إلى ما لا يحبون إلا وقتما يشاءون. فالكل فيها ينتسب والكل فيها مستفيد، منذ أن كانت كالبحر المنفتح على كافة التيارات، وليست كالبركة التى أسن ماؤها من افتقارها طوال ركودها إلى تيارات جارية متجددة.

وكانت المحاولات التى تدور فى الصحف وفى النوادى وعلى منابر الجمعيات، تطرح للبحث فى هذه المجالس.

فكانت مبارزات الدكتور زكى مبارك التى حمل فيها على كلٍّ من الشيخ عبدالعزيز البشرى وأحمد أمين بلا داع يدعو إليها.

وقد توصل مجتهد.. من المجتمعين إلى سر الهجوم بقوله: إن الدكتور فى غير

حاجة لشهرة، ولكنه بهجومه المدبر يضمن ألا يتصدى له أى قلم بعد أن عرفوا مرارة هجومه. والمفلس يغلب السلطان، وهو يعتمد على أنه فى حال ليس من بعده ما هو أسوأ منه.

وإيه يأخذ الريح من البلاط..

وكان أحمد عبدالمجيد أحد فرسان الشعر الحلمنتيشى الذى يعتمد على المزج بين الفصحى والعامية بأسلوب يقوم على المفارقة المفجرة للسخرة لفظياً ومعنوياً.

وكان من أبرز شعراء هذا اللون حسين شفيق المصرى فكتب المشعلقات معارضة للمعلقات وكتب المشهورات وغير ذلك من ألوان الشعر الحلمنتيشى وقد تناول أحمد عبدالمجيد هذا اللون أيضاً فعارض بعض القصائد الشهيرة بأسلوبه الساخر الفكه مثل قصيدة نزار قبانى الشهيرة:

متى ستعرف كم أهواك يا أملا
أبيع من أجله الدنيا وأشريها

فكتب يعارضها على نفس الوزن والقافية:

متى ستعرف كم أهواك «يا حنفى»
يا من نشلت دموعى من مآقيها
يا ما رهنت مصاغاً كنت تنفقه
على فضائح تنشرها وتطويها

ومن هذا اللون كانت له قصيدة على وزن قصيدة نزار قبانى «رسالة من تحت الماء» لكنها فقدت - للأسف - منى.

ومن قصائده العاطفية الطريفة التى حشد فيها الصور الطريفة، والتعبيرات

المستملحة قصيدة «هكذا أحب» التى جاءت على شكل موشح والتى فيها:

أحببت حتى لم يعد فى الناس يهوى من يحب
وعشقت حتى لم يعد فى الكون بعدى أى حب

وبعد، فقد كان أحمد عبدالمجيد أحد ظرفاء العصر، حيث تروى عنه النوادر المستملحة، والطرائف الضاحكة، وكان بارعاً فى المفارقات و«القافية» فى الحديث، ولم يكتف بذلك بل كان شاعراً ظريفاً استطاع أن يقدم لنا نماذج طريفة من الشعر الحلمنتيشى، ومن الشعر الفكاهى الذى يجعله أحد أبرز أساطين الفكاهة فى النصف الأول من القرن العشرين.

obeikandl.com